**محاضرة رقم 3**

## برتراند راسل ( 1872- 1970)

تحظى فلسفة اللغة في الآونة المعاصرة بامتياز خاص، حيث أضحى موضوع اللغة، من أكثر المجالات التي استقطبت وجهة الانشغالات الفلسفية المتعلقة بتأسيس المنظومة اللغوية والمعرفية التي أخذت تتجه بعمق إلى إعادة النظر في مختلف القضايا الفلسفية التي وقعت تحت تأثير التوسعات العلمية والمنطقية في تحليل محتوى الفكر والاستفادة من التطورات التي حصلت على مستوى اللغة الرمزية، هذه الدوافع هيأت الأجواء لفلاسفة التحليل اللغوي التغلغل في مسائل تحليل اللغة والكشف عن مفاصلها في صلتها بأنشطة العقل المختلفة، فما طبيعة الاستراتيجية التي سلكها "راسل" في تحليل وتشخيص بنية المنظومة المعرفية واللغوية؟

## 1-نظرية المعرفة:

يعتبر "راسل" من الفلاسفة الذين تركوا بصمة قوية في تاريخ الفكر الفلسفي، حيث عالج كثير من المسائل المرتبطة بالجوانب العلمية، فسعى إلى تخصيب الرؤية الفلسفية بعناصر الفكر العلمي، فقادته هذه الاشكالية إلى التمميز بين العلم والفلسفة، إذ أكد أن المعرفتان تنبعان من مصدر واحد ولا يحصل بينهما الاختلاف من حيث الأساس، على ضوء أن الفلسفة في عمومها أكثر شمولا وتعميماً وسعة في نقدها مقارنة بالعلم.

لذلك لا يمكن تجاهل أهمية الفلسفة، لكونها تقف على أرضية البحث في الجذور والأصول الأولية للفكر والحقيقة، مما يدفع هذا الأمر، العمل على فحص مناهج العلم لتثبت سلامة الأسس التي قام عليها، لأن الفلسفة تقوم بأسئلتها ونقدها على انبعاث اليقظة الفكرية، لأن نشوء الفلسفة في نظر "راسل" تأتي "من محاولات الانسان الوصول إلى المعرفة الصحيحة"[1]، مما يكشف في النهاية عن الصورة الحقيقية التي أراد "راسل" تبنيها، وهي الاقتداء بالنموذج الفلسفي الذي ساقه فلاسفة التجريبية، أمثال "جون لوك" و" دافيد هيوم".

[1] راسل، الفلسفة بنظرة علمية، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر 1960، ص 1.

هذا التصور الذي لجأ إليه "راسل" يتقاطع إلى حد كبير مع المذهب التجريبي الذي تمكن بطريقته الخاصة من اجتياح معاقل المذهب العقلاني عندما وجه له هذا الأخير انتقادات لاذعة من باب الاهتمام الكبير بالمعرفة وبالمسائل العلمية التي بدأت تحظى بإقبال واسع في وضع مقدمات قوية، أسهمت بدورها في طريقة تغيير صورة العمل الفلسفي الذي ينبغي في نظر المذهب التجريبي، أن يشتغل على التحرر من المحاضن الميتافيزيقية التي فرخت في أذهان التيار العقلاني، لذلك أصبح أسلوب التفكير العلمي، هو الأكثر حضورا في المساجلات الفكرية.

لقد حاول راسل" الإستئناس بالتقدم الحاصل في حقول المعرفة التجريبية المختلفة، مستعيناً بالشك كأسلوب يعين على تحصيل اليقين متتبعاً خطى "ديكارت" ، حيث شكل السؤال : إلى أي حد يمكننا الزعم أننا نعرف وبأي درجة من اليقين أو الشك منطلقاً وبداية له"[1] ، هذه المساءلات كانت مشروعة في منحاها المعرفي، على ضوء التقلبات الفكرية التي مر بها في مراحل النشوء الفكري والعقدي .

لقد تفاعل "راسل" مع رموز الفلسفة التجريبية، "ولم ينل الجانبان النقدي والمنطقي من فلسفة "هيوم" إلا اهتماما ضئيلا بالمقارنة مع الجوانب الأخرى. وغالبا ما يكتفي المهتمون بهيوم بالقول إن هذا الفيلسوف قاد التجربانية الكلاسيكية إلى الإفلاس وانتهى بتبني الشكانية. لقد كان بإمكان هذه التجربانية، حسب الوضعانيين الجدد، أن تنتهي إلى نتيجة أكثر ملاءمة مع بعض مبادئ هيوم نفسها، بدل أن تجد نفسها في طريق مسدود أو أن تنتهي إلى الشكانية. لكن الوضعانيين المناطقة قبلوا التوجه النقدي لفلسفة هيوم وقبلوا نتائجه والوضعانية، ووظفوها في هجوماتهم على الميتافيزيقا"[1].

يرجع هذا المذهب المثالي جميع الأشياء مهما كانت مادية أومعنوية إلى الذات، من حيث أن هذه الذات تشكل العنصر الفاعل في مختلف العمليات

---

[1] راسل، فلسفتي كيف تطورت؟ ترجمة عبد الرشيد الصادق، مكتبة الأجلو المصرية،ط1، 1960، ص 3.

[1]-Kolakovski. L: La philosophie positiviste, trad. du polonais par Claire Brendel, Ed, Danoël/Gonthier, Paris, 1976, p48.

العقلية، ووصل الأمر بهذا المذهب، إلى اعتبار الذات تمثل المنطلق الأساسي والفلسفي الذي يجب التقيد به في تناول جميع الموضوعات التي تشكل محور اهتمامها. "وبذلك اعتبر تأثير المثالية كان على أساس نظرية المعرفة، أي حول الشروط التي يجب، تتوفر عليها الموضوعات لكي يدركها العقل الإنساني"[1].

هذه التصورات التي شخصها "راسل" أعطت صورة عن واقع تطور التفكير العلمي واتخاذه مواصفات ابستيمولوجية، إذ عكف على تجديد نظرية الفعل المعرفي، واقامة تمييزا دقيقاً بين الأبحاث الفلسفية والعلمية، كما تمكن إلى حد بعيد، مجاوزة العناصر التقليدية لنظرية المعرفة، كما تناغمت توجهاته الفلسفية مع المذهب التجريبي بشكل ايجابي ومع الثورات العلمية، هذه الثورات التي تزايد نفوذها وقدرتها في إحداث انقلابات واسعة على المستويات المعرفية والاخلاقية والدينية والسياسية، تمكنت من خلالها اضاءة المجتمع الغربي التمسك بثقافة العلم والمعرفة.

**2- فلسفة التحليل اللغوي:**

لم تكن اهتمامات الفلسفة التحليلية حول قضايا اللغة في علاقتها بالمنظومة المعرفية بعيدة عن تداعيات الوضع الإشكالي الذي آلت إليه مختلف السياقات الفكرية والعلمية المعاصرة، بالتركيز على التحليل اللغوي والمنطقي، للكشف عن مضمون المعرفة الفلسفية وما تحتويه من تصورات ومفاهيم والوقوف على حقيقة أساسية، وهي إدراك كيفية اشتغالها، إذ تنامت الشكوك بشكل لافت حول هذا الوضع المعرفي المتأزم الذي خيم على مجريات الفكر الفلسفي، بعد أن جنح في ممارساته إلى العناية بقضايا ميتافيزيقا الفكر على حساب قضايا اللغة، إلى أن ضرورة التوسل بأدوات التحليل المنطقي تعطينا إمكانية أخرى لإضاءة المشكلات اللغوية والمعرفية، " وحتى المعرفة المجردة يتم تطويرها بفضل التأمل في اللغة "[(1)].

[1]- Bertrand Russell : Problèmes de Philosophie, Petite bibliothèque payot, Paris1972, p.44.

[(1)] - G.G.Granger : La vérification, Editions Odile Jacob, Paris, 1992, p. 56.

هذه المساءلة المبكرة التي تعلقت بالبحث في معنى التحليل في الفلسفة المعاصرة، أخذت تخترق كوسمولوجية التفكير القائم، فجنحت إلى مباشرة إجراءات تكثيف ممارسة النقد الذي أصبح أكثر خصوبة من حيث التأثير الذي أحدثته في تغيير عمل المنظومة الفلسفية التي اتجهت كلها إلى محاولة بلورة رؤية موضوعية موجهة نحو التحقق من قضاياها، إن كان مدلولها يقترب من الأشياء المعبر عنها في الواقع، لكن ليس من باب الأثر الذي تتركه في المسالك المعرفية، وإنما من حيث التأكد من البناءات المنطقية والفلسفية التي تخضع لها، "وأن ما يميز الفلسفة في مختلف مظاهرها وتياراتها الفلسفية، يكمن في المقام الأول على وجود قناعة بأن التحليل الفلسفي للغة، بإمكانه أن يقودنا إلى تفسير فلسفي للفكر، وفي المقام الثاني، فإن هذه القناعة تأتي من وجود رغبة قوية في وضع تفسير شامل للغة "[2]، وما يتمخض عنها من مشكلات.

ولمعرفة جذور هذه المشكلات اللغوية الناشئة في الآونة المعاصرة، يمكن استقصاء ومتابعة أثر الأعمال والأبحاث التي قام بها " برتراند راسل " في النظر إلى أهمية اللغة في صلتها بعمل الفيلسوف والرياضي والمنطقي في بناء لغة دقيقة، لذلك فإن توجيهه الفلسفي المبكر نحو التحليلات المنطقية، كان بناء على ما للمنطق من قيمة منهجية كبيرة في تحليله لقضايا الفلسفة، بحيث تحولت مهام الفلسفة من التصور التقليدي لمشكلاتها المتعلقة بالمعرفة والعقل والمادة إلى مسائل تحليل اللغة والمعنى، وذلك استناداً إلى النتائج التي قدمتها مختلف العلوم في عملية التحليل، "الموجهة إلى المعارف التلقائية والمعقدة وبالتالي تكون مهمة الفيلسوف القيام بعملية تحليلها "[1].

لقد أدرك "راسل" قيمة هذا المنحى الفكري والفلسفي في عملية بناء المعارف، فجعل وظيفة" الفلسفة تقوم من وجهة نظره بعملية نقد المبادئ التي تُدير العلم"[2]، فهذه الانطباعات الفكرية تركت مشكلات حقيقية في ربط

---

[2]- Dummett Michael: Les Origines de la Philosophie Analytique, traduit de l'Allemand par Marie-Anne Lescourret, Ed, Gallimard, Paris, 1991, p.13.

[1]- Bertrand Russell: La méthode scientifique en philosophie, Traduit de l'anglais par Philippe Devaux, Bibliothèque Payot, Paris1971, p.84.

[2]-Bertrand Russell : Problèmes de philosophie, Traduit de l'anglais par S.M. Guillemin, Petite Bibliothèque Payot, Paris1980, p.173.

القول الفلسفي بالقول العلمي، وتحديد موقع النظريات الفلسفية والنظريات العلمية التي وجدت نفسها مدفوعة إلى مجاوزة اللغة الطبيعية والتمكن من اللغة الرمزية التي أصبحت لغة الخطاب العلمي، ولهذا فإن "موضوع التحليل النقدي لوظيفة العلامات اللغوية، كان موجهاً لإضاءة الرموز التي تبين الشكل المنطقي للفكر، وفي هذا السياق يُعد "راسل" هو المؤسس لها"[3].

هذه العناية المنطقية التي يريدها "راسل" تكمن في عملية تجديد بناء الفكر الفلسفي على ضوء التدقيق في العلامات اللغوية التي تحتاج بدورها إلى التمعن في دلالتها على أساس دعم موقع التحليل في مختلف وظائفه، وهذا ما حصل" حين اعتبر "فريجه" و"راسل" أن اللغات الطبيعية، هي انساق ناقصة غير قادرة على التعبير عن الفكر، في الوقت الذي يجب فيه تأسيس نموذج خاص الذي هو على الأقل يستجيب للوظائف العقلية خصوصاً في المجال العلمي"[4].

إن النقد الذي احترفه أنصار التحليل اللغوي حول محاكمة المعرفة الفلسفية التي غاصت في مبحث الماهيات، يعكس مدى تزايد القلق حول إمكانية مسايرتها للواقع الفكري، إذ أخذ هذا النقد يتشكل بصورة بارزة ليس في ميدان الفلسفة فحسب، بل أيضا في الحقول العلمية والابستيمولوجية، فتحول إلى "ملمح يضيء سبل التفكير حول شروط تكييف اللغة في ميدان المعرفة"[1].

ضمن هذا المنحى الإشكالي في تشعباته المعرفية والفكرية، اعتقد "غرانجي" "أن "راسل" قد أثار صيغة تجريبية للمعرفة الفلسفية، وانتهي في تحليله الفلسفي إلى إظهار وظيفة اللغة، بما هي إجراء موضوعي وتجريبي في فهم العالم، ذلك أن أثر هذه المعرفة موصول بتشكل مفاهيم الفكر الفلسفي، وهذه المفاهيم لا تحدثنا مباشرة عن العالم ولكن تصف لنا علاقة التجربة

---

[3]- G.G.Granger :Langages et Epistémologie, Editions, Klincksieck, 1979, p.14.

[4] –Daniel Andler: Philosophie des Sciences, T2, Editions Gallimard, Paris, 2008, p.1109.

[1]- Guillaume Paugam : La philosophie et le problème du langage, Hermann Editeurs, Paris 2011, p. 10.

باللغة، لكونها تثير شروط إمكانية معرفة العالم "[2]، هذا ما يؤكد أن "راسل" كان على علاقة مباشرة بالوضعية التي بلغتها الأسئلة الفلسفية المتعلقة بمعرفة بنية العالم عن طريق اللغة.

إن المفاتيح الأولى التي يجب على الفكر الفلسفي التمسك بها في" تحديد بنية العالم تكون على ضوء اللغة"[3]، فهذه الغاية المعرفية والمنطقية، تتمثل في التحرر من كل قداسة فكرية أو نظرية فلسفية نصبت نفسها كحكم في توجيه الحقيقة والمعرفة على السواء، فهذا الأداء التحليلي، يبتغي الاعتراف بوجود مسلك آخر غير المسلك الذي عرفته الفلسفة عبر تاريخها، آخذاً بناصية تحليل البنية اللغوية التي طورها فلاسفة التحليل.

إن تحول وجهة الفلاسفة إلى الاستئناس بمنهج التحليل المنطقي والارتقاء به إلى مستوى إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين المشكلات الفلسفية واللغوية وإثراء النقاش في صلة اللغة بفهم الواقع، كان أكثر تقدماً، "ما دامت اللغة قادرة على تحقيق الفهم الصحيح للواقع فإن تحليلها سيكون ذا فائدة كبيرة، بل إن أي تقدم تحرزه الفلسفة مرتبط بتحليل اللغة "[2].

هذا التحليل، سيفضي إلى توسيع مجال النظر في موضوعات التحليل الفلسفي للغة، مما يجعل نشاط الفلسفة نشاطاً مختلفاً عن نشاط العلم، ومن هنا يتبين أن الفلسفة التحليلية سعت بدورها إلى تبيان ماهية الفلسفة ووظيفتها ضمن الحلقات الجديدة التي عرف فيها التوجه التحليلي انتشارا واسعا، بسبب نوعية المشكلات التي طرحها، لهذا "حظيت فلسفة اللغة في منتصف القرن العشرين بمكانة مركزية في اهتمامات الفلاسفة الذين لهم توجه تحليلي لغرض إعطاء انطباع مباشر حول فكرة أن الفلسفة التحليلية لا تتطابق مع فلسفة اللغة "[3]، مما يفسر وجود اختلاف قائم في نوعية الاهتمامات الفكرية بين فلسفة اللغة وفلسفة التحليل اللغوي.

---

[2] - G.G.Granger: Pour la connaissance philosophique, éd, Odile Jacob, 1988, p. 227.

[3]- Bruno Leclercq: Introduction à la philosophie analytique, op, cit, p. 142.

[2]- جمال حمود: المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، برتراند راسل نموذجاً، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2011، ص 43.

[3] - Daniel Laurier: Introduction à la Philosophie du Langage, Ed, Mardaga, Liège, 1993, p.163.